رأي القدس

الفيل المصري بدأ يتململ اخيرا

■ بدأت الحكومة المصرية تتجاوب، وان بشكل بطيء مع المطالبات الشعبية التي تحثها على لعب دور ما في مواجهة العربدة الاسرائيلية ـ الامريكية، واستعادة كرامة مصر كدولة اقليمية عظمى، لها وزن سياسي وبشري هو الاكبر في المنطقة.

التحرك الجديد تبلورت معالمه في خطوتين رئيسيتين يمكن ان تشكلا بداية تحول حقيقي في السياسة المصرية تجاه قضايا المنطقة الرئيسية، اذا ما جرى البناء عليهما بشكل جدي وفعال:

● الخطوة الاولى: سماح الحكومة المصرية لنائبين من حركة المقاومة الاسلامية «حماس» بنقل اربعة ملايين دولار نقدا جمعاها من جولات قاما بها في المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج. فهذا الموقف يحسب لها، خاصة ان ابناء قطاع غزة والضفة الغربية يعيشون حصارا ماليا واقتصاديا خانقا منذ تسعة اشهر بسبب عجز حكومة حماس عن تسديد رواتب الموظفين، علاوة على اغلاق المعابر ومنع خروج المنتوجات الفلسطينية الى الخارج.

● الخطوة الثانية: بدء مندوبين عن الحكومة المصرية في عقد اجتماعات مع نظرائهم الفلسطينيين والاسرائيليين والاوروبيين من اجل التوصل الى صيغة تسمح بفتح معبر رفح على الحدود المصرية ـ الفلسطينية بشكل دائم، مما يخفف معاناة مليون ونصف المليون فلسطيني يعيشون في زنزانة محكمة الاغلاق اسمها قطاع غزة.

وربما يكون من السابق لاوانه القول بان تغييرا جذريا قد حدث في السياسة المصرية الرسمية تجاه اسرائيل وعدوانها المتواصل على الفلسطينيين في الضفة والقطاع، ولكن مثل هذه الخطوات على بساطتها، توحي بان مصر تستطيع ان تقلب الكثير من المعادلات السياسية والامنية اذا ما قررت الخروج من سباتها العميق، والتمرد على محاولات الاذلال الاسرائيلية والامريكية التي تمارس ضدها منذ توقيع اتفاقات كامب ديفيد الشهيرة قبل ثلاثين عاما تقريبا.

فالحكومة المصرية قالت اكثر من مرة ان حدودها مع قطاع غزة شأن داخلي مصري، لا علاقة لاسرائيل به، واعربت عن رفضها لاي احتلال اسرائيلي لممر صلاح الدين او فيلادلفيا، مثلما يصر الاسرائيليون على تسميته، ولكنها ظلت دائما تلتزم بالقرارات الاسرائيلية باغلاق معبر رفح، رغم اعلان اسرائيل انسحابها من قطاع غزة بشكل نهائي. وربما تكون اللقاءات المتعددة الاطراف المنعقدة حاليا للتوصل الى اتفاق يبقي على المعبر مفتوحا الفرصة الذهبية لتأكيد هذا الموقف المصري واغلاق هذا الملف.

والمأمول ايضا ان يكون الطرف الفلسطيني المشارك في هذه اللقاءات على قدر المسؤولية، وان يتعلم من اخطاء من وقعوا الاتفاق السابق بشأن المعبر مع الاسرائيليين والاوروبيين، وهي الاخطاء التي سلبت الطرف الفلسطيني اي قوة او سيادة، وجعلت قرار الاغلق والفتح في يد الاسرائيليين، بحيث بات الجنود الاسرائيليون هم الذين يقررون من يدخل او يخرج من المعبر، ومتى يتم فتحه او اغلاقه.

الحكومة المصرية تتحمل مسؤولية قانونية واخلاقية تجاه فلسطين وشعبها، مثلما تتحمل المسؤولية نفسها تجاه الشعب المصري الذي لا يوافق على صمتها الزائد على كل الحدود تجاه العربدة الاسرائيلية، والمجازر التي ترتكبها في حق اشقاء له بشكل يومي. فهذا الشعب قدم آلاف الشهداء من اجل قضية فلسطين وقضايا العرب الاخرى، ولا يمكن ان يقبل ان تتخلى حكومته عن واجباتها الوطنية، ليس تجاه الشعب الفلسطيني فقط، وانما تجاه امنها القومي الذي تشكل اسرائيل مصدر تهديد اساسي له.

العراق !

العراق ودلالات الانتخابات الامريكية البرلمانية النصفية

د. بشير موسى نافع *

■ جاءت الانتخابات الامريكية البرلمانية التي جرت في الاسبوع الماضي بما لم يكن يتوقعه كثيرون، ولا حتى قيادات الحزب الديمقراطي المعارض في الولايات المتحدة. لم يستطع الديمقراطيون هزيمة الجمهوريين في مجلس النواب وحسب (بعد أكثر من عقد من السيطرة الجمهورية على المجلس)، بل استطاعوا أيضاً كسب أكثرية ضئيلة في مجلس الشيوخ، الذي جددت الانتخابات لثلث أعضائه فقط. أثارت هذه الهزيمة البرلمانية الكبيرة لإدارة الرئيس بوش وحزبه ردود فعل متفائلة وشامتة في كل أنحاء العالم، وهو ما أظهر حجم الامتعاض العالمي، في الدول الغربية وغير الغربية، من السياسات التي اتبعتها إدارة بوش خلال السنوات الخمس الماضية. ما رفع وتيرة التفاؤل والأمل ببروز سياسة أمريكية خارجية جديدة، والشماتة في إدارة بوش وحزبه، كانت استقالة (أو إقالة) وزير الدفاع رونالد رامسفيلد، الذي أصبح رمز غرور وعنجهية السياسة الامريكية واستخفافها بشعوب العالم الأخرى ودوله، بما في ذلك الحليفة التقليدية لواشنطن. ولكن الملاحظ ان هذا التغيير الكبير في بنية المؤسسة الامريكية الحاكمة قد صاحبته تقديرات متسرعة وتفسيرات خاطئة، داخل المنطقة العربية وخارجها.

أحد الأصدقاء الذي يعرف شكوكي الوراثية بالعملية الديمقراطية في الدول الغربية ذكرني بضرورة الاعتراف بعظمة النظام الديمقراطي الذي سمح للناخب الامريكي توجيه هذه الضربة الموجعة لسياسة أرهقت العالم بأسره، وصنعت دماراً وعدم استقرار في العراق وأفغانستان وفلسطين. وهذه ملاحظة جديرة بالانتباه بلا شك؛ فبخلاف القواعد التقليدية للانتخابات الامريكية البرلمانية والرئاسية على السواء، كان العراق واتجاه السياسة الخارجية من أهم المؤثرات في الانتخابات الأخيرة. وإن كان هناك من أمل للعالم اليوم في اندحار سياسة عسكرة العلاقات الدولية، واتباع نهج الضربات الاستباقية، وغزو دول العالم الأخرى بدون مبرر أو بمبررات هشة، فإن هذا الأمل معلق بما أوقعه الناخب الامريكي من هزيمة بإدارة الرئيس بوش والحزب الجمهوري. ولكن من الضروري ربما تأمل حقائق الواقع الذي أدى إلى فشل مشروع احتلال العراق، وأدى بالتالي إلى التغيير الكبير في بنية الحكم الامريكي. ففي افتراق عن الرأي العام الأوروبي والعربي، بل والعالمي، ساندت أكثرية أمريكية واضحة غزو العراق واحتلاله، ربما بفعل الحملة الدعائية الهائلة التي تعهدتها إدارة بوش لربط النظام العراقي بالإرهاب وتطوير أسلحة دمار شامل. وعندما نجحت الحملة العسكرية الامريكية في إسقاط النظام العراقي واحتلال العراق بقدر قليل من الخسائر، ارتفعت شعبية الرئيس إلى مستويات غير مسبوقة وتحولت مؤتمرات رامسفيلد الصحافية إلى ما يشبه البرامج الأكثر شعبية على شاشات المحطات الإخبارية الامريكية. وحتى حفنة الصحافيين والمراسلين العرب المقيمين في واشنطن ونيويورك ابتلعتها أمواج الرأي العام الامريكي وشاركت هي الأخرى في الإشادة بمشروع التحرير والدمقرطة الذي تقوده الإدارة الامريكية في العراق والمنطقة العربية.

بيد ان الأمور لم تسر في العراق على هوى قادة المشروع وعرابيه. خلال أسابيع قليلة من بداية الاحتلال، انطلقت مقاومة عراقية، وصفها البعض بأنها مجرد حشرجات أخيرة لنظام لا يريد الاعتراف بانهياره وهزيمته، بينما وصفها البعض الآخر بردود فعل سنية على خسارة الحكم والامتيازات. المدهش كان في فقدان الذاكرة الجماعية لقطاع واسع من المعلقين والمتخصصين ورجال الحكم في العواصم الغربية، الذين لم يتعلموا دروس التاريخ الحديث للمنطقة العربية والإسلامية: ان هذه المنطقة رفضت دائماً السيطرة الأجنبية وأنها تعاملت معها دائماً بالمقاومة. والأكثر دهشة كان اطمئنان القوى والعناصر العراقية المتحالفة مع الاحتلال إلى ان الأمر قد استتب لها، وفشلها في فهم عقلية العراقيين أنفسهم، الذين ادعت هذه القوى والعناصر بأنها تمثلهم. خلال السنوات الثلاث والنصف الماضية، تعرضت المقاومة العراقية والمناطق الحاضنة لها لحملة تلو الأخرى من الحملات العسكرية، لدمار واسع النطاق، لقتل بلا تمييز، لاعتقالات جماعية طالت عشرات الألوف، ولحملات تشويه سياسية وطائفية هائلة، كرست لها مئات الملايين من الدولارات وعشرات المحطات التلفازية ووسائل الإعلام الأخرى. ولكن ذلك كله لم يزد المقاومين العراقيين والقوى الرافضة للاحتلال ومشروعه، والقطاعات الشعبية الحاضنة لهؤلاء جميعاً، إلا صلابة وانتشاراً، ولم تؤد التركيبة السياسية التي وضعها الاحتلال، دولة وحكومات ودستوراً وانتخابات وجيشاً جديداً، إلا إلى غرق العراق في عنف أهلي واسع النطاق، وانهيار محاولة إقامة نظام حكم آمن وموال للولايات المتحدة.

ما انتهى إليه العراق كان فشلاً ذريعاً لمشروع الاحتلال على كل المستويات، أمنياً وسياسياً واقتصادياً. الخسائر الامريكية البشرية في تصاعد، والمصروفات الامريكية في العراق تجاوزت 320 مليارا من الدولارات حتى الآن. الخسائر العراقية البشرية تعد بمئات الألوف، بينما يسرق النفط العراقي ويوزع على الميليشيات وقادتها. وقد تدهورت الخدمات العامة إلى مستويات لم يعرفها العراق منذ ولادة الدولة الحديثة قبل أكثر من ثمانين عاماً. إن كان الاحتلال أعاد عشرات من العراقيين من حلفائه إلى المنطقة الخضراء، فإن ملايين من العراقيين غادروا الجحيم الذي أصبحته بلادهم منذ بداية الاحتلال. هذا فشل لم يكن من الممكن تغطيته، لم يكن من الممكن تفسيره، ولم يعد من الممكن اقناع الامريكيين بالتعايش معه. وهنا بدأ الرأي العام الامريكي في التغير، هنا بدأ الانقلاب في بنية الحكم الامريكي. صلابة العراقيين ومقاومتهم، رفضهم العميق للاحتلال، استعصاؤهم على الاحتواء، هو الذي أفشل مشروع الاحتلال وهو الذي صنع نتائج الانتخابات الامريكية الأخيرة. وعندما ينتهي الاحتلال ويخرج المحتلون بلا أسف، سيكون على العالم أن يعترف بالمعجزة التي اجترحها الشعب العراقي في مطلع القرن الحادي والعشرين، عندما قرر مواجهة واحد من أقوى أنظمة الاحتلال في التاريخ الحديث، بلا سند إقليمي أو دولي.

بيد ان ذلك كله لا يجب ان يوقع في المبالغة واستعجال النتائج. سيكون لفوز الديمقراطيين في الانتخابات نتائج ملموسة وسريعة ربما على مستوى الوضع الامريكي الداخلي والتشريعات المتعلقة بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية الداخلية. ولكن على مستوى السياسة الخارجية، فإن هناك قضايا لن تتعرض لتغيير يذكر، وأخرى سيكون التغيير فيها ضئيلا وبطيئا. فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية لن يؤثر فوز الديمقراطيين على الإطلاق على سياسات الإدارة. فالنفوذ الإسرائيلي أوسع وأعمق في صفوف القيادات الديمقراطية عنه في الحزب الجمهوري. بل ان التماهي الكامل بين سياسة إدارة بوش والسياسة الإسرائيلية هو تطور استثنائي في تاريخ الإدارات الجمهورية. والديمقراطيون، وان اختلفوا مع النهج الانفرادي والعدواني لسياسة بوش الخارجية، لاسيما في التعامل مع الحلفاء، لن يكونوا أقل تمسكاً بما بات يعرف بالحرب على الإرهاب، بما في ذلك توظيف القوة العسكرية. أما العراق، الذي أصبح المحور الرئيسي لسياسة إدارة بوش الخارجية والمؤشر الأبرز على فشل هذه السياسة، فهو مسألة أكثر تعقيداً.

كان الديمقراطيون، من ناحية، شركاء في غزو العراق، أو ان قطاعاً كبيراً منهم كان كذلك، بالرغم من نجاحهم خلال الحملة الانتخابية في وضع مسافة بينهم وبين سياسة إدارة بوش في العراق المحتل وفي تحميلهم الإدارة عبء الفشل. إضافة إلى ذلك، فليس لدى الديمقراطيين مشروع واضح المعالم للتعامل مع الوضع في العراق؛ وكما إدارة بوش لا يعرف الديمقراطيون على وجه اليقين ما الذي ينبغي فعله هناك، بعد ان حاولت الإدارة كل ما في جعبتها. ولكن الأهم، أن الديمقراطيين حتى وهم يرون الفشل الذريع للمشروع الامريكي في العراق يدركون عواقب الهزيمة على موقع الولايات المتحدة ودورها العالمي، وهم لذلك على استعداد للتعاون مع إدارة بوش لإيجاد مخرج يحافظ على الأهداف الامريكية الأساسية ويقي الولايات المتحدة من تبعات الهزيمة. من جهة أخرى، فبينما تعبر إدارة بوش (بإقالة رامسفيلد، على الأقل) عن ادراك ضمني بالفشل في العراق، فإنها ترفض الاعتراف الصريح بهذا الفشل والعمل السريع على هذا الأساس. وهو موقف في جوهره شبيه بموقف الأغلبية الديمقراطية في الكونغرس، التي قد تطالب بإعادة انتشار تدريجية للقوات الامريكية وتتجنب الضغط من أجل انسحاب قوات الاحتلال وترك العراق (والشرق العربي ـ الإسلامي كله) لإرادة أبنائه. لغة الحملات الانتخابية كانت دائماً غير لغة مؤسسات الحكم والسلطة، في الولايات المتحدة كما في غيرها من الديمقراطيات الغربية الرئيسية. وبينما ستنتظر جميع الأطراف السياسية الامريكية تقرير لجنة بيكر وتوصياتها، التي قد يجد فيها الجميع مخرجاً وغطاءً لسياسة جديدة في العراق، فإن الديمقراطيين سيحتاجون لبعض الوقت قبل ان يدركوا ان الحل الوحيد في العراق هو الانسحاب الكامل. وعندها فقط سنرى مطالبة قاطعة وحاسمة بالانسحاب الفوري والناجز من العراق.

منذ الحرب العالمية الثانية لم تتعرض قوة عالمية كبرى لهزيمة عسكرية بالمعنى الذي وضعه كلاوزفيتز في «علم الحرب»، أي التدمير الاستراتيجي للقوة العسكرية والموارد الضرورية لاستمرار الحرب والقتال. لا الولايات المتحدة في كوريا وفيتنام، ولا بريطانيا وفرنسا في السويس، ولا الاتحاد السوفييتي في افغانستان، واجهت هزيمة عسكرية ـ استراتيجية حقيقية وقاطعة. ما حدث ان تلك الحروب وصلت إلى مستوى لم يعد فيه من الممكن تبرير استمرار الحرب وتبرير أعبائها وخسائرها ووحشيتها للرأي العام في الدولة المعتدية وللرأي العام العالمي. عندها تقع الهزيمة ويصبح التراجع حتمياً. الناخب الامريكي، والرأي العام الامريكي ككل، سيكون صاحب الدور الحاسم في الضغط على هذه الإدارة، أو الإدارة القادمة، للخروج من العراق. ولكن إيصال الأمور إلى هذه اللحظة، هو مسؤولية من أوصلها إلى الهزيمة الانتخابية الأخيرة للإدارة وحزبها: أهالي الأنبار وبغداد وصلاح الدين ونينوى وديالى.

وحتى تأتي تلك اللحظة فإن أمام العراق والمنطقة العربية مرحلة بالغة الحساسية والخطر. أمام العراقيين مهمة تجنب انحدار البلاد إلى هاوية الحرب الأهلية، الهاوية التي قد يجد بعض حلفاء الاحتلال انها الموقع الوحيد الكفيل بتحقيق أهداف انقسام العراق وتشظيته. وأمام العرب مهمة التحرك للوصول إلى تفاهم مع إيران يحدد دائرة المصالح الإيرانية في العراق والمنطقة ويحافظ على عروبة العراق واستقلاله ويساعد على استقراره. هذه المهمات ليست مسؤولية الحكام والسياسيين داخل العراق وفي المنطقة العربية وحسب، بل مسؤولية الجميع، حكاماً وعلماءً ونشطين سياسيين وإعلاميين وشعوباً. لقد آن للعراق ان يخرج من هذا الجحيم والموت والدمار الذي أوصله إليه الاحتلال وحلفاؤه، وتواطؤ أو صمت الأنظمة العربية.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

وزراء الخارجية العرب يبيعون الوهم للعالم العربي

د. يوسف نور عوض *

■ قرر وزراء الخارجية العرب كسر الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني بسبب استخدام الولايات المتحدة حق النقض الفيتو ضد مشروع القرار الذي يدعو الى ادانة اسرائيل بسبب اعتداءاتها الأخيرة على بيت حانون. وقال وزير خارجية البحرين انه لن تكون هناك قيود مفروضة على الشعب الفلسطيني، وعبر عن روح عربية جديدة في التعامل مع مثل هذه القضايا، وفي الوقت ذاته دعا الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى الولايات المتحدة الى اعادة النظر في سياستها تجاه الدول العربية، ولا شك أن الأمين العام للجامعة العربية كان يتوقع أن يقف العرب مساندين لجامعتهم ويقدروا لها هذا الموقف الشجاع، ولكن قرار مجلس وزراء الخارجية العرب أثار تساؤلات حول الجامعة العربية ذاتها وما اذا كانت تقوم بأي دور لصالح الأمة العربية، وبدلا من أن يتحدث الأمين العام ورئيس الدورة الحالية للمجلس عن رفع القيود عن الشعب الفلسطيني كان عليهما في البداية أن يحدثانا عن الأسباب التي جعلت الحكومات العربية تفرض القيود على الشعب الفلسطيني، ومن المستفيد من هذه القيود؟ انه أمر مخجل أن تفرض الجامعة العربية قيودا على الشعب الفلسطيني المحاصر لمجرد أن الولايات المتحدة واسرائيل تريدان ذلك، بل ومن المخجل أن يخرج الوزراء العرب ليمارسوا الكذب من جديد بقولهم انهم رفعوا الحصار عن الشعب الفلسطيني وهم يعلمون انهم غير قادرين على ذلك ولا يملكون الآلية التي تمكنهم من فعله، بل ومن المخجل أن تفاخر دولة مثل مصر بالاعلان عن أنها استطاعت أن تكتشف نفقا تحت الأرض لنقل السلاح من الجانب المصري للجانب الفلسطيني وكان دور مصر قد أصبح الآن هو توفير الحماية للشعب الاسرائيلي على حساب الشعب الفلسطيني، ولعل من أكثر الأمور مدعاة للخجل أن يظل الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى يكرر الشعارات الرافضة من وقت لآخر وكأنه يفكر بطريقة تختلف عن تلك التي تفكر بها بقية الدول العربية، مع أن الشعب العربي كله يتساءل لماذا لا يقدم عمرو موسى استقالته من منصبه بعد أن فشل في تحقيق أهداف الشعوب العربية، بل ويتساءل لماذا لا يكون هناك موقف عربي موحد بالانسحاب من الأمم المتحدة وتحدي الارادة الأمريكية بعد أن ثبت أن ما تفعله الولايات المتحدة عمل منظم ضد مصالح الشعوب العربية ولا يتناغم مع مصالحها.

ونستطيع أن ندلل على ذلك، من خلال الاجتماع الذي دعا له القس «جون هاغي» في الولايات المتحدة وحضره أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة ناشط انجيلي من بينهم عدد من أعضاء الكونغرس ورئيس الحزب الجمهوري وقد قرأ القس هاغي خلال اللقاء رسالة موجهة من الرئيس الامريكي جورج بوش ورئيس الوزراء الاسرائيلي أيهود أولمرت كما وزع رسالة تطالب أعضاء الكونغرس بترك اسرائيل تدمر حزب الله، ويقول ان هذا العمل هو تحقيق لسياسة السماء الخارجية ولم يكتف بذلك بل توجه الى البيت الأبيض وقابل المسؤولين فيه لكي يحثهم على الاستمرار في هذا الطريق على الرغم من قول المسؤولين في الادارة الأمريكية انهم لن يتأثروا في سياستهم بالمواقف الثيولوجية، وهو قول لا يتناغم مع قول المحافظين الجدد الذين يصرون على أن تأييد الرئيس بوش لاسرائيل هو موقف ديني وتحقيق للأوامر التوراتية، وليس هناك ما يدعونا لان نشكك في ما يقوله المحافظون لعلمنا أن الانجيليين البيض يشكلون ما مجموعه ربع الناخبين الأمريكيين. ويقولون انه بصرف النظر عما حدث للحزب الجمهوري في الانتخابات الأخيرة فسيظل الحزب متحالفا مع اسرائيل ومعاديا لكل من سورية وايران. ويذهب هؤلاء الى القول بان تصريحات الرئيس الايراني احمدي نجاد تشبه تصريحات هتلر بشأن اليهود، ويواصلون تحريضهم للدول العربية لتقف في وجه ايران وكأن كل ما تقوم به ايران في مجال تطوير قدراتها النووية لا يهدد سوى الدول العربية التي يثير مصيرها قلق الولايات المتحدة واسرائيل اللتين هما العدوان الحقيقيان لهذه الامة.

وليس ذلك هو موقف الانجيليين والمحافظين وحدهم بل هو أيضا موقف الساسة الرسميين في العالم الغربي الذين لم يعودوا يحترمون الدول العربية أو يقيمون لها اعتبارا، وهم حتى لا يحترموا شعوبهم لأنه كان الأحرى بحكومة الولايات المتحدة بعد هزيمة الجمهوريين أن تتوقف لتتساءل عن أسباب الهزيمة ولكن الحكومة صرفت النظر عن ذلك وبدأت تفكر في الطريقة التي تحتوي بها هذه الهزيمة والاستمرار بالأسلوب القديم نفسه وتبادل الأدوار مع حلفائها كما وضح من موقفي رئيس الوزراء الاسترالي ورئيس الوزراء البريطاني، فقد طلب توني بلير من الحكومتين السورية والايرانية أن تعملا على تحقيق الاستقرار في العراق، وكأنه يوجه لهما اتهاما بأنهما يسهمان في ما يحدث في ذلك البلد، ولكن ما الثمن الذي يدفعه من أجل أن يقوما بهذا العمل؟ الثمن هو اعتبارهما شريكين في حل المشكلات واذا لم يقبلا هذا العرض فعليهما أن ينتظرا عزلة دولية، وهذا الكلام ما كان ينبغي أن يأتي من توني بلير وكان المفروض أن يأتي من الرئيس الامريكي جورج بوش ولكن الرئيس الامريكي هو الآن بطة عرجاء ولا يستطيع أن يملي مثل هذه الشروط ولكن لا يبدو أن القادة الغربيين مستعدون لتعلم الدروس فهم يستمرون في تكرار الأخطاء ذاتها وبدلا من أن يتعلم توني بلير الدرس الذي واجهه بوش فهو يحاول أن يستخلص من السوريين والايرانيين مزيدا من المكاسب دون مقابل في وقت تشهد فيه السياسة الغربية تراجعا في الشرق الأوسط.

ويقول بعض كبار السياسيين في الولايات المتحدة ان المصير الذي تواجهه الادارة الأمريكية في العراق هو نفس المصير الذي واجهته بريطانيا من قبل بعد أزمة السويس، ولكن سورية وايران تدركان أن التحالف الغربي ليس بقوته السابقة واذا أراد هذا التحالف منهما شيئا فعليه في البداية أن يعترف بان من حق ايران أن تكون قوة نووية ومن حق سورية ان تستعيد الجولان وبعض مناطقها المحتلة والا فما معنى أن تقدم التنازلات التي لا يستفيد منها أحد سوى اسرائيل؟

واما في الولايات المتحدة فان الرئيس جورج بوش يحاول أن ينقذ ما يمكن انقاذه، وقد استقبل رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود أولمرت الذي يريد أن يطمئن على أن موقف الولايات المتحدة لن يتبدل تجاه اسرائيل بعد انتخابات الكونغرس الأخيرة لعلمه أن الخيار الوحيد المفتوح أمام الرئيس بوش هو أن يتقدم في الملف الفلسطيني وقد طمأن الرئيس بوش رئيس الوزراء الاسرائيلي ووجه تهديده مرة أخرى لايران متوعدا اياها بالعزلة اذا لم تستجب لما يسميه المطالب الدولية بوقف برنامجها النووي دون أن يقول الرئيس الأمريكي لماذا يدعم هو والمجتمع الدولي البرنامج النووي الاسرائيلي ولا يدعمان البرنامج الايراني ولماذا يريد من بعض الدول ان تقبل بضعفها وتقف في طريق تقدمها واكتسابها القوة.

ولا شك أن ما قاله الرئيس بوش بشأن البرنامج النووي الايراني كان يمكن أن يقبل من منطلقات انسانية عامة لولا الانحياز الواضح للادارة الامريكية لاسرائيل وهو انحياز تريد أن تكسبه اسرائيل واليمين المتطرف في داخل الولايات المتحدة صبغة دينية وتجعله واجبا من واجبات الادارة الأمريكية، وللاسف فان الحكومات العربية وجامعاتها تقف موقف المحايد في هذا الأمر بل ووصل بها الأمر ان تنفذ السياسات الأمريكية والاسرائيلية ضد المصالح العربية.

ولا نقول ان تلك حالة من حالات المهانة بل هي حالة من حالات الفساد والتدهور الأخلاقي في داخل النظام السياسي العربي لأن المفروض أن تدرك الحكومات العربية أن حل المشكلة الفلسطينية هو هدف استراتيجي للعالم العربي وان هذا الحل الذي لا يجد مجاله في المحاولات السلمية بسبب تطرف اسرائيل ورفضها الجلوس الى طاولة السلام يجب أن يبحث فيه عن خيار آخر وهو تهديد أمن اسرائيل ولا يكون التهديد بالجيوش الجرارة بل بدعم المقاومة حتى تدرك اسرائيل أن الطريق الوحيد لكي تعيش في هذه المنطقة في استقرار هو بالاستجابة الكاملة للحقوق الفلسطينية لان القادة الاسرائيليين لا يبدو انهم يستفيدون من دروس التاريخ وبدلا من أن يستفيدوا من المناخات التي اصبحت مهيأة لحل القضية الفلسطينية برمتها فهم ما زالوا يستغلون الفرص من أجل الاستمرار في سياسات عقيمة تعتقد أن حل القضية الفلسطينية لا يمكن أن يكون الا في وطن بديل وذلك وهم قد أوضح الأردن في الأيام الماضية سخافته وعدم واقعيته، ولكن الأمر لا يقتصر من وجهة نظرنا على التعنت الاسرائيلي بل على حالة الضعف التي استمرأها الحكام العرب الذين لم يعودوا يحسون بمسؤولياتهم ولا يتخذون من السياسات الا ما يدعم سلطتهم في الحكم سواء كان ذلك عن طريق القمع أو من خلال السياسات المخادعة التي توصل رسالات غير صحيحة للشعوب كما فعل الرئيس القذافي اخيرا عندما اخبر المستغلين والفاسدين بانهم قد يواجهون ثورة اجتماعية تحرق ممتلكاتهم، وبالطبع ليس الهدف الاصلاح بقدر ما هو توجيه رسالة للشعب بأن هناك قيادة ترعى مصالحه.

وفي رأيي فان الشعوب العربية تعيش في مفترق طرق بعد أن تأكد أن الطريق القديم قد وصل الى نهايته ولم يعد هناك سبيل غير المواجهة ولكن المواجهة يجب أن تكون أولا بين نظم بالية وشعوب مقهورة.

* كاتب من السودان

نجاح اليهود وفشل المسلمين

د. علي محمد فخرو

■ ونحن نواجه الصورة النمطية السلبية عن العرب والمسلمين ودين الإسلام التي تجتاح الوسائل الإعلامية في مجتمعات الغرب الأوروبي والأمريكي دعنا نطرح بعض الأسئلة الخاصة بنا.

1 ـ لماذا يستطيع ملياردير يهودي، صهيوني النزعة، بناء امبراطوية إعلامية في الغرب، تضمُ العديد من الصحف النافذة والمحطات التلفزيونية المشاهدة من قبل الملايين والإذاعات المسموعة وغيرها من وسائل الإعلام والتواصل، وذلك من خلال شراء تلك الوسائل، ومن أجل الدفاع عن كل المشاريع والطموحات الصهيونية ومن أجل تبرير حماقاتها وأساطيرها ونهمها، بينما لايفعل الأمر نفسه المليارديرات العرب والمسلمون؟ أليست كل وسائل الإعلام في الغرب قابلةً للبيع والشراء، كلياً أوجزئيا، محرَرين أومؤسسات؟ لماذا يكتفي أغنياؤنا بإنشاء وسائل إعلام عربية، هزيلة في كثير من الأحيان ومُسطّحة في محتوياتها الثقافية؟ أ لأنَ العمل في أرض العرب لا ينطوي على تنافس وبذل جهد كبيرين، بينما يستدعى العمل في الغرب مهنية عالية ومواجهة مسؤوليات قانونية ودخول في معارك مع الأعداء.

2 ـ لماذا تستطيع حكومات الدول الغربية أن تطرح مع حكوماتنا مسألة تعديل مناهجنا الدراسية، وعلى الأخص الدينية والاجتماعية والتاريخية منها، وذلك باسم تصحيح مفاهيم الطلبة عن الغرب، بينما لم نسمع عن حكومة عربية واحدة ناقشت مع دول الغرب موضوع تعديل كتبها المدرسية بما يحققّ استبعاد الصورة النمطية السلبية التي تزخر بها كتبهم عن العرب والمسلمين ودين الإسلام؟ أ لأنُ الحكومات الغربية تعطي اهتماماً للكتاب والباحثين الذين درسوا كتبنا، بينما لا تعير حكوماتنا أي اهتمام لعشرات الدراسات والكتب العربية التي بيّنت الانحيازات الكثيرة في كتب الغرب المدرسية ضدّ الإسلام والمسلمين؟

3 ـ إننا جميعاً ندرك بأن الحقل الفقهي الإسلامي، كتابات ومواعظ واجتهاد وقراءات، يحتاج إلى مراجعة وتصحيح وتطوير وقراءات جديدة تصحّح ما علق بالإرث الفقهي عبر العصور من أخطاء ارتكبها بعض الفقهاء، فلماذا لا تنبري مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني المعنيّة بهذا الأمر، أو تتكوّن مؤسسة فقهية جديدة، للقيام بإرساء أسس لمدرسة فقهية جديدة تبعد عن فقهنا التلفيقات والأساطير والقراءات البليدة وتعيد إليه نقاء وصفاء الإسلام الذي أراده الله ونبيه لنا؟ أليست الساحة الإسلامية تعجُ بالاجتهادات المتناقضة وبالتطرّف في فهم ديننا السمح الحنيف وبالتالي تقدّم للعالم غير الإسلامي صورة مشوهة للإسلام؟ هل حقاً أن المدارس الفقهية الكبيرة الشاملة ستتوقّف عند القرن الخامس الهجري وينتهي معها التاريخ والزمان وتعاقب العصور وتطور حاجات الإنسان المسلم؟ إن مدرسة فقهية جديدة ستنهي حيرة الفرد المسلم الذي تتقاذفه اجتهادات فردية ماعادِ لها فاعلية في عصر يتميّز بتعقّد الحياة وإنفجار المعرفة الهائل.

4 ـ لماذا تستطيع الأقليات اليهودية في كل مكان تجنيد قدرات وطاقات أفرادها للكتابة إلى الصحف، للإتصال بمحطات التلفزة والراديو، للإتصال عبر شبكات الانترنت، وذلك لممارسة الضّغوط الهائلة لتسير تلك الوسائل حسب النهج الذي تريده تلك الأقليات اليهودية، بينما تفشل الأقليات العربية والإسلامية في القيام بأعمال مماثلة وبنفس القدر من الكفاءة والتأثير؟ هل لأن الأقليات اليهودية موحدة بينما الأقليات العربية والإسلامية متشرذمة متنافرة؟ ولماذا نحن كذلك؟

من حقّ أمة العرب أمة المسلمين أن تتساءل : لماذا لا تساهم الاستثمارات الخارجية التي تزيد عن الترليون دولار ومداخيل البترول الجديدة الهائلة في الإجابة على مثل تلك التساؤلات؟ في الخارج اقتحمت تلك الاستثمارات حقول العقارات والأسهم وخدمات الاستهلاك فلماذا لا تفعل الأمر نفسه مع حقل الإعلام فتساهم في الدفاع عن الأمتين؟

أمام التساؤل الكبير عن أسباب فشل المشروع النهضوي الشامل، والذي وحده سيحلُ الإشكالية المعقّدة مع الغرب، يظل المجال فسيحاً لتساؤلات أصغر تقود إلى إجابات مرحلية تساهم في التخفيف من الفاجعة التي نعيشها. لكن أكبر فاجعة هي أن الإجابة على كل هذه الأسئلة ضمن قدراتنا وإمكانياتنا، ومع ذلك نقف حائرين مشلولين أمامها.

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:

مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:

عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 420 57364 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD

Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5066089

Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364